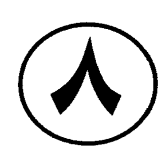
قصص الأنبياء للأطفال



إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ

(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع

الكتاب:
قصص الأنبياء للأطفال
(إسحاق ويعقوب) عليهما السلام
المؤلف:
ناصر عبد الفتاح
الناشر:
دار
التقــوى
للنشر والتوزيع
٨ شارع زكى عبد العاطى
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس ـ القاهرة.
ت: ٢٩٨٩٩٤٣
المدير المسئول/ محاسب
عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦م
رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤
I. S. B. N. 977-5840-25-2
كمبيوتر:
آرمس ـ ت: ٧٩٦٤٤٠٤

جَلَسَتْ سَارَةُ فِي بيتِهَا حزينةً لأنَّ اللهَ لَمْ يُحَقق أُمنيَتهَا وتذكَّرتِ الليالىَ التى قَضَتْها سَاهرةً تَدْعُو ربَّهَا أنْ يرزُقَها بطفلٍ يَمْلأُ عَلَيْها الدُّنيَا وَيُحَقِّقُ السَّعادَةَ لزوْجها.

سَقَطَتْ دمْعَةٌ عَلَى خَدِّ سَارَةَ وأخَذَتْ تَبْكى لأنَّ أملَهَا انتهَى وأصابَهَا اليأسُ فَقَدْ تَجاوَزَتْ ثَمَانِينَ عَامًا وَلَنْ تستطيعَ أنْ تَلدَ غُلامًا زَكيًّا يدعُو قومَهُ ويهْديهِمْ.

مسحَتْ سَارَّةُ دمُوعَهَا ونظَرَتْ إلَى السمَاءِ وهتفَتْ :

ـ الحمدُ للهِ عَلَى كلِّ شيْءٍ.

وارتفعَ صوتٌ فِى أنحَاءِ البيتِ ينَادى : ـ سَارَّة.. سَارَة.

ابتسَمَتْ زوجَةُ النبىِّ ونَسيَتْ أحزَانَهَا عندَمَا سَمِعَتْ صَوْتَ زوجِهَا الحبيبِ وهَرْولتْ إلَيْه.

قَالَ إبراهيمُ: ـ عندنَا ضُيُوفٌ يَا زوجَتِى الحبيبةَ.

قَالَتْ سَارَّةُ : ـ مرحبًا بهِمْ... سأُشْعلُ الموْقدَ حالاً.

وركَضَ إبراهيمُ إلَى الحظيرةِ وقَيَّدَ عِجْلاً سَمِينًا وذَبَحَهُ ثُمَّ أحْضَرَه إلَى زَوْجَتهِ سَارَّةَ فطَبَخَتْهُ.

أعدَّ إبراهيمُ مائدةَ الطَّعامِ ووضعَ فوقَها أطباقَ اللَّحمِ الشهيَّةَ وأرغفةَ الخُبْزِ وقالَ لضُيُوفه : - تفضَّلُوا الطَّعامَ يا أحبابي .

نَظرَ الضُّيُوفُ الثَّلاثَةُ إلىَ الطَّعامِ وبَدا علَى وجُوهِهِمُ الدهْشَةُ ورفَضُوا أنْ يمُدُّوا أيديَهُمْ إلَيْه وظَلُّوا صامتينَ .

تعجَّبَ إبراهيمُ وشَعَرَ بالْخوفِ ووَدَّ أنْ يَسْأَلَ ضُيُوفَهُ عَنْ سَبَبِ رَفْضِهِمْ للطَّعَامِ .

ولَمَّا رَأىَ الثلاثَةُ حَيْرَةَ النَّبيِّ قَالُوا لَهُ : - نعَمْ يَا إبراهيمُ نَحنُ لا نأكلُ ولاَ نشْرَبُ مِثْلكَ ، تسَاءلَ إبراهيمُ متعجِّبًا : - كيفَ تعيشُونَ إذَنْ ؟

قَالَ أحدهُمْ : - إننَا ملائِكَةٌ أرسَلنَا اللهُ إلَى قَوْمِ لُوطٍ وأمَرنَا أنْ نَمرَّ عَلَيكَ لنُبَشِّرَكَ .

تساءَل إبراهيمُ : تُبشِّرونَني بماَذَا ؟

قَالَ المَلَكُ : - إنَّ زوجَتَكَ ستلدُ وَلَدًا وتُسَمِّيه إسْحَاقَ .

تعجَّبَتْ سَارَّةُ عندَمَا سمعَتْ البُشْرَى وأصَابَهَا الذُّهُولُ وكأنَّها لا تُصَدِّقُ ما سَمعَتْ وقَالتْ للملائكَة :

﴿ قَالَت يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إنَّ هَذَا لَشَيءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود الآية : ٧٢]

قَالَ المَلكُ : ـ أتعجَبِينَ مِنْ أمرِ اللّهِ . . . رحمةُ اللّهِ وبركاتُهُ عَلَيكُمْ أهْلَ البيْتِ .

تعجبَ إبراهِيمُ أيْضًا وقَالَ لهُمْ : ـ تبشرُونَنِي بعدَ أنْ كبُرَتْ سنِّي .

قَالَ المَلكُ :

﴿ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) ﴾ [الحجر الآية : ٥٥]

استَغْفرَ إبراهِيمُ ربَّهُ ونَدِمَ عَلَى قَولِهِ حتَّى لاَ يَكُونَ مِنَ اليَائسِينَ .

وقَالَ :

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (٥٦) ﴾

[الحجر الآية : ٥٦]

وكانَ الملائكةُ الثلاثَةُ هُمْ : جبْرِيلُ وميكَائيلُ وإسْرَافِيلُ وَقَدْ أرسَلهُمُ اللّهُ لتدْمِيرِ قَرْيةِ لُوطٍ لأنَّهم كَفَرُوا باللّهِ .

وطَلَبَ إبراهيمُ منَ الملائكَةِ أنْ يَرْجُوا اللّهَ ليعْفُوَ عَنْ أهْلِ لُوطٍ لكنَّهُمْ قَالُوا : ـ هَذَا أمْرُ اللّهِ ولاَ يمكنُ تَأْخِيرُهُ .

وانصرفَ الملائكَةُ إلى أداءِ مهمَّتهِمْ وترَكُوا سَارَّةَ وَهِيَ تكَادُ تطِيرُ مِنَ الفَرَحِ .

وَضَعتْ سَارَّةُ طِفْلاً رائعَ الحُسْنِ يشْبهُ أبَاهُ إبراهيمَ.

سَجَدَ النبيُّ شُكْرًا لله عَلَى نعمته وَحَملَ إسْحَاقَ وَقَبَّلَهُ ثُمَّ أعادَهُ إلَى أُمِّه ، شَبَّ إسحاقُ وأصبَحَ غُلامًا زكيًّا مُطيعًا لوالديه وكثيرًا مَا كَانَ يصطَحِبهُ إبراهيمُ فِي نزُهَاتٍ فيُريه مخلوقَاتِ الله وآياته فِي الكَوْنِ وأحسَّ إسحاقُ بمتْعَةٍ شديدةٍ وهُوَ يرَى الطيورَ تُحلِّقُ فِي الجَوِّ والجِبَالَ الشَّامخَةَ وكَأنَّهَا تُلامسُ السَّحَابَ وأدْرَكَ أنَّ الإنْسَانَ مَخْلُوقٌ صَغيرٌ جِدًّا فِي الْكَوْنِ الوَاسعِ فسَجَدَ لله خَالقِ الْكَوْنِ ومُبْدعِه.

وتعجَّبَ إسحاقُ بشِدَّةٍ عندمَا رأَى قومَهُ ينحتُونَ أحجَارًا مِنَ الجِبَالِ فتصيرُ تَمَاثِيلَ مختلفَةَ الأشكَالِ ثُمَّ يسجُدُونَ لهَا ويُطْلقُونَ علَيهَا آلهَةً.

تضَايقَ إسحَاقُ وتساءلَ : - أيْنَ عَقْلُ هؤُلاءِ النَاسِ ؟ هَلْ أصَابهُمْ جنونٌ حتَّى يسجُدُوا لِمَا يصنَعُونَ ؟

قَصَّ إبراهيمُ عَلَى ابنه قصَّةَ الأصْنَامِ التِى حَطَّمهَا والنارَ التِى نَجَّاهُ اللهُ منْهَا ، وأمرَهُ أنْ يدعُوَ الناسَ إلَى الإيمَانِ باللهِ ويعلِّمهُمْ أمُورَ دينِهِمْ.

حَمَلَ إسْحَاقُ رسَالَةَ أبيه وانطْلَقَ يُعلِّمُ الناسَ شَعَائرَ الدِّينِ مِنْ صَلاَةٍ وصِيَامٍ وزَكَاةٍ وَحَجٍّ.

وتزوَّجَ إسْحَاقُ مِنْ فتَاة ذات أدَبٍ وحُسْنٍ وهىَ رُفْقَةُ ابْنةُ عمه فرحَتْ رُفْقَةُ لأنَّهَا تزوَّجت النبىَّ إسْحَاقَ ورَفْرَفت السعَادَةُ فوْقَها كَمَا يُرَفْرِفُ العُصْفُورُ الصَّغيرُ سَعِيداً بالطَّيرَانِ.

ورزقَهُمَا اللهُ بولَدَيْنِ هُمَا العيصُ ويَعْقُوبُ.

نَشَأ يعقُوبُ مُطيعًا لوالدَيه محبًّا لَهُمَا أمَّا العيصُ فكَانَ دَائم الشِّجارِ مَعَ أخيه وسيىءَ الأخْلاَق ، واسْتَطَاعَ الشيْطانُ أنْ يُوَسْوِسَ إلَيه ويُوهمَهُ أنَّ والدَيْه يكْرَهَانه ويُفضِّلان يَعْقُوبَ عَلَيْه وأخَذَ يُوقعُ بيْنَهُ وبَيْنَ أخيه.

مَرَّت الأيَّامُ وكُلَّمَا كَبُرَ الأخَوَان ازدادَتْ كراهيةُ العيص لأخيه يَعْقُوبَ. ولما تقدَّم العُمْرُ بإسْحَاقَ وضَعُفَتْ صحتُهُ أصَابَهُ قَلَقٌ رهيبٌ وخَشِيَ أنْ يعتَدِىَ العيصُ عَلَى يَعْقُوبَ فِى أىِّ وقْتٍ ، لأنَّ الشيطَانَ زَرَعَ الكراهيَةَ فِى قلْبِه منذُ الصِّغَرِ.

ازدادَ إسْحَاقُ همًّا وغمًّا واستغْرَقَ فِى تفكيرٍ طَويلٍ حتَّى هَدَاهُ اللهُ إلَى حلٍّ صَائبٍ.

نَادَى إسْحَاقُ ابْنَهُ يَعْقُوبَ ، وقَالَ لَهُ:

ـ كَبرتْ سنِّى يا بُنىَّ وضَعُفَتْ صحَّتى وإنَّنى أخَافُ عَلَيْكَ من الإقَامة مَعَنَا... لذَلِكَ لابدَّ أنْ ترْحَلَ حَالاً.

تَسَاءَلَ يَعْقُوبُ : ـ كيفَ أرحَلُ وأتْرُكُ أَهْلِى يَا أَبِى ؟

قَالَ إسْحَاقُ : ـ إننِى حَزِينٌ لفِرَاقِكَ يَا بُنَىَّ لكنَّنِى لاَ آمنُ غَدْرَ أخيكَ العيصِ ، لأنَّ الشيطَانَ خَدَعهُ وملأ قلْبَهُ بكراهيتكَ وحرَّضَهُ عَلَى إيذائكَ ورُبما يدفعُهُ إلَى القَضَاء عَلَيْكَ .

تساءَلَ يَعْقُوبُ : ـ ألاَ يوجَدُ حلٌّ آخرُ يا أبِى ؟

قَالَ إسْحَاقُ : ـ لا يا بُنَىَّ . . . استَمِعْ إلىَّ جَيِّدًا . . . إنكَ مَا زِلْتَ شَابًّا قويًّا . . اذهَبْ إلىَ خَالكَ لاَبَانَ وأقِمْ عندَهُ وتزوَّجْ إحْدى بنَاته وهُناكَ تستطيعُ أن تدْعُوَ الناسَ إلَى الإيمَان بالله وتُعَلِّمَهُمُ الصَّلاةَ وتأمُرَهُمْ بالمعْرُوفِ وتنْهاهُمْ عَنِ المنْكَرِ .

انهَمَرتِ الدُّمُوعُ منْ عَيْنِ يَعْقُوبَ وتسَاءَلَ : ـ كيفَ أشعُرُ بالسعادَةِ وأنَا بَعيدٌ عنكَ وعَنْ أمِّى ؟

قَالَ إسْحَاقُ : ـ جَفِّفْ دُمُوعَكَ ياَ ولَدىَ الحبيبَ ونَفِّذْ مَا أمرتُكَ بِهِ ولاَ تَعُدْ مَرَّةً أخْرَى إلاَّ عندَمَا يأذَنُ اللهُ بذَلكَ .

* * *

جَهَّزَ النبىُّ يَعْقُوبُ راحلَتَهُ وَحمَلَ زادَهُ منَ الطعَامِ والشرَابِ والغِطَاءِ ثُمَّ وَدَّعَ والديهِ وَرَحَلَ إلَىطَّرِ حُورَانَ حيثُ بيتُ خاله لاَبَانَ .

قَطَعَ يَعْقُوبُ أميالاً فِي الصَّحراءِ فَوْقَ الرمالِ الناعمَةِ وتَحْتَ أشعةِ الشمسِ الملتهبَةِ وهُوَ حزينٌ منكَسِرُ الفُؤادِ .

وعندَ الظهيرَةِ اشتدَّتْ حرارةُ الشَّمْسِ وأصْبَحَتْ أشعَّتُها كألسنةِ النيرَانِ ، وانهمَرَ العرَقُ غَزِيراً منْ جِسْمِ النبيِّ حتَّى ابْتلَّتْ ملابسُهُ .

مَسَحَ يَعْقُوبُ عَرَقَهُ ودَعَا ربَّهُ ثُمَّ وَاصَلَ طَرِيقَهُ كَيْ يَصِلَ فِي أسْرَعِ وقْتٍ إلَى دارِ خاله .

سَارَ النبيُّ عدَّةَ سَاعَاتٍ ، وعندَمَا أحَسَّ بالجُوعِ تنَاوَلَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ ثُمَّ اسْتَأنَفَ سفَرَهُ حتَّى أقْبَلَ المسَاءُ وانتَشرَ الظلامُ فِي الأرْضِ واشتدتْ برُودَةُ الجوِّ .

نَزَلَ يَعْقُوبُ عَنْ حِصَانِه ثُمَّ رَبطَهُ فِي صَخْرَةٍ ولَفَّ جِسْمَهُ بغطاءٍ واستْغَرقَ فِي النومِ .

وفِي الصبَاحِ ألقَتِ الشمسُ أشعتَهَا الذهبيَّةَ فَوْقَ وَجْهِ النبيِّ فاستيقَظَ منْ نَومِه وتنَاوَلَ فُطُورَهُ ثُمَّ وَاصَلَ سَفرهُ إلَى حُورانَ .

لاقَى يَعْقُوبُ مشَقَّةً كبيرَةً فِي سَفَرِه تغلَّبَ علَيْهَا بصَبْرِه وعزِيمَتِه ، واستطَاعَ أَنْ يَتحمَّلَ حَرَارَةَ الشَّمْسِ القَاسيَةَ وبُرُودَةَ الليْلِ القَارسةَ وكُلَّمَا قطَعَ مسَافَةً صَغيرَةً ازْدَادَ أمَلاً وعزِيمَةً فِي تَحْقيقِ هَدَفِه ووَصيَّةِ وَالِدِه .

قطعَ يَعْقُوبُ أمْيَالاً كَثِيرةً وأخيرًا وَصَلَ إلىَ مَرْعًى ورأىَ مَجْمُوعةً مِنَ الرُّعَاةِ.

اقْتَرَبَ النبيُّ منهُمْ وَسَأَلَ أَحَدَهُمْ: ـ كَيْفَ أَصِلُ إلَى أرْضِ حُورَانَ؟

قَالَ الرَّاعِى: ـ أَنْتَ فِى أَرْضِ حُورَانَ الآنَ.

سألَهُ يَعْقُوبُ: ـ هَلْ تَعْرِفُ بَيْتَ لاَبَانَ بْنَ بَتُوئِيلَ؟

أشَارَ الرَّاعِى إلَى قَرْيَةٍ فِى قَلْبِ الصَّحْرَاءِ وقَالَ: ـ إنَّهُ فِى تِلْكَ القرْيةِ.

شَكَرَ يَعْقُوبُ الرَّاعِى وامتَطَى حِصَانَهُ وانْطلَقَ بِهِ حَتَّى وَصَلَ إلَى القرْيةِ.

اقْتَرَبَ النبيُّ مِنْ بِئْرِ القريَةِ كَىْ يَشْرَبَ فرأىَ فَتَاةً تَمْلأُ جَرَّةً بالمَاءِ، ألقَى يَعْقُوبُ عَلَيْهَا السَّلامُ وسألَهَا: ـ أينَ بَيْتُ الشَّيْخِ لاَبَانَ؟

قَالَت الفَتاةُ: ـ انْتظِرْ قَليلاً حَتَّى أمْلأَ جَرَّتِى، ثُمَّ أُوصِلُكَ إلَى بَيْتِ أبِى؟

صَاحَ يَعْقُوبُ فَرِحًا: ـ أنتِ إذَنْ ابْنةُ خَالِى لاَبَانَ.

تعجَّبَتْ الفَتَاةُ وتساءَلَتْ: ـ مَنْ أنْتَ أيُّهَا الغَرِيبُ؟

قَالَ يَعْقُوبُ : ـ إِنَّنِى يَعْقُوبُ بْنُ النبىِّ إسْحَاقَ وجَدِّى نبىُّ اللهِ إبراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ.

أشرَقَ وَجْهُ الفَتَاةِ منَ الفرحِ وقَالَتْ : ـ وأنا راحِيلُ ابْنَةُ خالِكَ . . . كيفَ حَالُ نبىِّ اللهِ إسْحَاقَ وعَمَّتى رُفْقَةُ ؟

قَالَ يَعْقُوبُ : ـ بخَيْرٍ والْحَمْدُ للهِ .

رَفَعَ النبىُّ يدَيه إلىَ السمَاءِ وشَكَرَ ربَّهُ لأنَّهُ هَدَاهُ إلَى بَيْت خاله بَعْدَ سَفَرٍ وكَدٍّ وتَذكَّرَ الليَالىَ التى قَضَاهَا فى قَلْبِ الصحْرَاءِ وَهُوَ يُقَاسِى منَ الْبردِ القَارسِ والظَّلامِ الدَّامسِ.

وأحَسَّ بحنينٍ إلَى أمِه وأبيه واشْتَاقَ إلىَ رؤيَتِهِمَا وكَادَتْ تسقُطُ دمْعةٌ منْ عينه لكنَّهُ تذكَّرَ وَصيَّةَ والِده إسْحَاقَ وأيقَنَ أنَّ اللهَ لَنْ يَنْسَاهُ فى تِلْكَ البَلَدِ الغَرِيبةِ .

اصطحبَتْ راحِيلُ نبىَّ اللهِ يَعْقُوبَ وأسرَعَتْ إلَى أبيهَا تُبَشِّرُهُ بقُدُومه .

وكانَتْ فرحةُ لابَانَ عظيمَةً عندَمَا وقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلى يعقُوبَ وتذكَّرَ أخْتَهُ الحبيبةَ رُفْقَةَ فمَدَّ ذِرَاعَيْه واحْتضَنَ يعْقُوبَ وأخذ يُقَبِّلُهُ وَصَاحَ :

ـ مَرْحبًا بابْن أخْتِى . . . مَرْحَبًا بابنى الحبيبِ .

وأعدَّ الرجُلُ وليمَةً عظيمَةً للنبيِّ وَهيَّأ لهُ فِرَاشًا وثيرًا مُريحًا.

وبعدَ أنْ فرَغَ يَعْقُوبُ مِنْ تنَاوُلِ الطعَامِ وارتَاحَ مِنْ مشقَّة السفَرِ سَألَهُ خَالُهُ عَنْ أحْوَالِ أهْلِهِ فطَمْأنهُ عَليهِمْ وأخبَرَهُ بوصيَّةِ أبيهِ إسْحَاقَ.

ابتَسَمَ لاَبَانُ وقَالَ: ـ لَنْ أجِدَ زَوْجًا لابنتى خَيْرًا مِنْكَ.

قَالَ يَعْقُوبُ: ـ بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا خَالِيَ العَطُوفَ.

قَالَ الشيخُ: ـ مَرْحبًا بِكَ يَاوَلَدِى فِى بيْتِكَ وبَيْنَ أهْلِكَ.

وأسْرَعَ الرجُلُ إلَى ابنتِهِ الكُبْرَى لِيَا وأخْبَرَهَا بوَصيَّةِ النبيِّ إسْحَاقَ، نظرتْ لَيَا إلَى الأرْضِ خَجَلاً وقَالَتْ: ـ كَمَا تُرِيدُ يَا أبى.

عَادَ لاَبَانُ إلَى النبيِّ وقَالَ لَهُ: ـ ستتزَوَّجُ ابنَتِى الكُبْرَى لَيَا.

تساءَلَ يَعْقُوبُ: ـ مَاذَا تُرِيدُ مَهْرًا لابنتكَ؟

قَالَ الشيخُ: ـ أنْ تُقِيمَ مَعِى سَبْعَ سَنَواتٍ تَرْعَى خِلالهَا أغْنَامِى وتُسَاعِدَنِى فِى أعْمَالِى.

تزوجَ يَعْقُوبُ ابنَةَ خَالِهِ لَيَا واطْمَأنَّتْ نَفْسُهُ بَعْدَ أنْ نَفَّذَ وَصيَّةَ أبيهِ.

* * *

أشـرقَتْ شَـمْسُ أولِ يـوْمٍ مِنَ السَّنَوات الـسَّبْعِ وَغَـمَـرَتِ الكَوْنَ بـضَوْءٍ وَدِفْءٍ.

أفَـاقَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِـهِ وَسَبَّح رَبَّهُ ثُمَّ أيقَظَ أهْلَ بيْتِـهِ واجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ.

وَدَّعَ النبيُّ زوجَتَـهُ وخَالَهُ ثُمَّ سَحَبَ الأغْنَامَ وانْطَلقَ إلَى الْمرْعَى سَارَ يَعْقُوبُ بخِفَّةٍ ونَشَاطٍ لَمْ يعْهَدْهُمَا مِنْ قَبْلُ وتَطَلَّعَ إلَى الْكَوْنِ الرَّحِيب فَأَحَسَّ بِرَهْبَةٍ شَدِيدةٍ.

رَفَعَ النبيُّ نَظَرهُ إلىَ السماءِ الشَّاهقَة فأعْجَبَهُ زُرْقَتُها الصَّافِيةُ ثُمَّ مَدَّ نَظَرَهُ إلَى مَرْمَى البصَرِ فأحَسَّ كَأَنَّ السَّمَاءَ منطبقَةٌ عَلَى الأرضِ .

تَلَفَّتَ يَعْقُوبُ حَولَهُ فَرأى الطَّبِيعَةَ الخَلاَّبَةَ واسْتمْتعَ برُؤْيَةِ الطُّيُورِ وَقَدْ صَحَتْ مِنْ نَوْمِهَا وسَبَّحَتْ ربَّهَا ، ثُمَّ انطَلَقَتْ تَبْحَثُ عَنْ رِزْقِهَا.

وارتَفَعت جمَاعَاتُ النحْلِ فَوْقَ الوُرُودِ الحَمْرَاءِ والصَّفْرَاءِ لِتَجْمَعَ الرحِيقَ وزَحَفَتْ جُيُوشُ النَّمْلِ فِي طوَابيرَ منتظمَةٍ كَيْ تَجْمَعَ الحُبوبَ.

وَصَلَ النبيُّ إلَى المرْعَى وَتَرَكَ الأغْنَامَ تَسْرحُ فِي الأرضِ الخَضْرَاءِ وتلْتقطُ مَا يُشْبِعُ جُوعَهَا.

حَمَلَ يَعْقُوبُ عَصَاهُ وجَلَسَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَأَخَذَ يراقِبُ الأَغْنَامَ حَتَّى لاَ تَضِيعَ أَوْ تَتُوهَ عَنِ المْرعَى.

وكَانَتِ الأَغْنَامُ مُطِيعَةً وكأنهَا تدرِكُ أنَّ نبىَّ اللهِ يَعْقُوبَ يرعَاهَا ويهتَمُّ بهَا.

مَرَّ النهارُ واستَعَدَّتِ الشمسُ للرحيلِ وعادَتِ الطُّيُورُ إِلَى أعْشَاشِهَا وجُيُوشُ النَّمْلِ إِلَى جُحُورِهَا وجَمَاعَاتُ النَّحْلِ إِلَى خَلاَيَاهَا واسْتَعَدَّتْ الأرضُ لاسْتِقْبَالِ الليْلِ.

سَحَبَ يَعْقُوبُ قَطِيعَ الأَغْنَامِ وعَادَ إِلَى بَيْتِ خالِهِ مُشْتَاقًا إِلَى زَوْجَتِهِ.

واسْتَمَرَّ يَعْقُوبُ فِى رِعَايَةِ شُئُونِ خَالِهِ وأُعْجِبَ أَهْلُ حُورَانَ بأخْلاَقِهِ وأحَبُّوهُ لأَنَّهُ كَانَ يُكرِمُ الضَّيْفَ ويُعِينُ المحْتَاجَ وَيَنْصُرُ المظْلومَ، وَيَنْصَحُ الظَّالِمَ ويعُودُ المريضَ.

مرَّتِ الأيامُ وأنجبَتْ لَيَا طفلاً أسْمَتْهُ رُوبيلَ.

وبعدَ عدةِ سَنَواتٍ أصبحَ ليَعْقُوبَ خمسَةُ أبناءَ آخَرُونَ هُمْ شِمْعُون ولاَوِى ويهُوذَا وإِيسَاخِرْ وزَابْلُونَ.

أحبتْ لَيَا زوجَهَا يَعْقُوبَ وتعلقَتْ بهِ وأرادَتْ أَنْ تُكافِىءَ زوجَهَا

عَلَى حُبه الشديد وإخلاَصه لهَا فزوَّجَتْهُ جاريَتهَا زُلْفَى.

وأنْجب يَعْقُوبُ منْ زُلْفَى ولدَيْن هُمَا بجَادَ وأشير.

مرت الأيامُ وأصيبَتْ لَيَا بمَرض شديد ولزمَتْ فراشَهَا حَزنَ يَعْقُوبُ وأصابَهُ غَمٌّ شديدٌ خاصةً وأنَّ حالَةَ ليَا تتدَهْوَرُ ومَرضَهَا يشتَدُّ.

ورحلَتْ لَيَا عن الدنْيَا وتركَتْ أولاَدَهَا صغَارًا ضعَافًا لاَ أُمَّ لَهُمْ تَرْعَاهُمْ.

اشْتدَّ حُزْنُ يَعْقُوبَ عَلَى زوجَته وأولاده ولَمْ يجدْ خَيْرًا من ابْنَة خَاله راحيلَ أمًّا لأطْفَاله.

تزوَّجَ النبيُّ يعْقُوبُ منْ رَاحيلَ واتفقَ معَ خَاله أنْ يخْدُمَهُ سَبْعَ سنَوَات أُخرَى كانَتْ راحيلُ فَتَاةً رائعَةَ الحُسْن بَارعَةَ الْجمَال ، لَكنَّ الله حَرَمَهَا منَ الإنْجَاب.

تألَمَتْ راحيلُ كثيرًا جدًّا وأرَادتْ أَنْ تُدْخلَ السَّعَادَةُ إلَى قَلْب يَعْقُوبَ فزوَّجَتْهُ جَاريَتَهَا بلْهَى.

أنْجَبَتْ بلْهَى وَلَدَيْن هُمَا دَانْ ونيفْتَالي.

دَعَتْ رَاحيلُ ربَّهَا وطلبَتْ منْهُ أن يرزُقَهَا طفْلاً فاستَجَابَ اللهُ دُعَاءَهَا وأنْجَبَت طفْلاً رَائعَ الحُسْن أَسْمَتْهُ يُوسُفَ.

فَرِحَ يَعْقُوبُ بابنهِ وبَهرَهُ جَمَالُهُ الرَّائِعُ الذى وَهَبَهُ اللهُ لَهُ فَسَجَدَ شُكْرًا لربِّه.

واستَمرَّ يَعْقُوبُ فِى رِعَايَة خالِه ولما انْتَهت السَّنَواتُ السَّبْعُ أَمَرَهُ اللهُ تعَالَى أَنْ يَعود إلَى أهْلِهِ فِى أرْضِ كَنْعَانَ.

وَدَّعَ يَعْقُوبُ خَالَهُ لابَانَ واصْطحَبَ أُسْرَتَهُ وَرَحَلَ إلَى فِلَسْطِينَ مُشْتَاقًا إلَى رُؤْيَةِ أهْلِه.

عَاد يَعْقُوبُ إلَى وَطَنِه وقَدْ كَبرَتْ سِنُّهُ وَكَثُرَ أوْلادُهُ وَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْه بِخَيْرَاتٍ كَثِيرَةٍ.

• • •